

قصة

العلم والفن !

التقت عيناها بعينيه فحففتهما وقد اصطبغ وجهها بحمرة الخجل . فجذبت الفراء على كتفها حتى غطي جانباً من وجهها . ثم انسلت مسرعة إلى الخارج . فاقفني أثرها . وهي تلتفت وراءها الفينة بعد الفينة فتلتقي أنظارهما . فلما وصلت إلى الباب وقفت تنظر إليه كأنها تتحدها ، واقترب هو منها فابتدرها بقوله :

— لقد رأيتك

— رأيتني ماذا ؟

— رأيتك وأنت تضعينها في جيبيك، فبدت كأنها مرتاعة وتغير لون وجهها بين الحمرة والصفرة والبياض كما تلون الحرباء . . ولكنها تضنعت الجلد وقالت :

— لا أفهم شيئاً مما تقول !

— رأيتك تسرقين تلك الزمردة . .

— يظهر أنك كنت في حلم !!

— كلا ياسيدي . . اتى متعظ جيداً ، وخير لك أن ترجعي الزمردة لصاحبها

— وأى شأن لك في هذا ؟ هل أنت بوليس سرى ؟

— لست بوليساً ولكن البوليس قريب منا على كل حال . .

فأدارت بصرها ملتاعة ، ولحظ هو ذلك منها فرمقها شذراً وقال مستلياً :

— وها أنذا سأدعوه . .

فدبت إليه يدها بجزعة متفضة وقالت :

— بالله عليك لا تكن قاسياً إلى هذا الحد !

فحدق فيها تحديقاً خبيراً ناقد ثم قال لها بصوت خفيض :

— انا واقفان هنا في الطريق فلانستطيع أن نتحدث في هذه المسألة الدقيقة في مكان

كهذا . . فهل تريد أن تصحيني إلى منزلي عسانى أجد لك مخرجاً من المازق الذى

ألقيت بنفسك فيه ؟

فغمزت بعينها وقالت — وإذا رفضت أن أذهب معك ؟

أجابها - البوليس و . . .

فقاطعته - إذن هيا بنا . . (وابتسمت ابتسامة مريرة وهي تقول) هل أعتبر

نفسى تحت القبض ؟

فأجابها بمتعاضا - لقد أخبرتك أنى لست من رجال البوليس

وزلا فاستقلا سيارة دون أن ينبسا بكلمة . . واستمسك كلاهما بالصمت واختلاس النظر من بعضهما حتى أصبحا داخل مسكنه ، فوقف تجادها وبادرها من فوره قائلا :

- أظن ان الافضل أن تتكلم على المكشوف ، كما يقول المثل . . لماذا

سرقت الزمردة ؟

فأجابته فى جرأة - لا أريد أن أخبرك بشئ !

ورد عليها بهدوء - ولكنك ستخبرينى على كل حال !

فهزت رأسها الصغير بعنف ضاغطة باسانها على فكها قائلة - أي حق لك فى

أن تلقى على هذا السؤال ؟!

قال - لأنى أنا الذى رأيتك ترتكبين تلك الفعلة .

قالت - اولى لك ان تعنى بشؤون نفسك اذا كان لديك ما تعنى به من الشؤون

خير من ان تدخل فيما لايعنك

قال - أشكرك على نصيحتك الثمينة وأؤكد لك انى من أجل العناية بشؤونى قد

طلبت اليك ان تصحبينى الى هنا

ثم سكت هنيهة ولم تنطق هى بحرف كذلك بالرغم من الدهشة التى كانت مستولية

عليها . . ثم استلتي هو قائلا :

- أود أن استبقيك هنا بضعة أسابيع قليلة . .

فلم تستطع كظم دهشتها وارتفع صدرها بين الشهيق والزفير وهى تجاوبه :

- يظهر انك مجنون ! (واتبعت ذلك بصوت خفيض) وفضلا عن ذلك فأننى مخطوبة !!

فما ناد يسمع هذا منها حتى انفجر من هدوئه الذى لازمه حتى هذه اللحظة وقال

صوت دوى فى ارجاء المكان :

- لست ابالى بشئ من هذا فانا انما اريدك من أجل قوامك المعتدل وجسمك البديع

- هذا مستحيل لأننى مخطوبة لغيرك !!

- انا لا يهمنى من أمر خطيبك شيء ، وإنما يجبر ، ان أوضح لك المسألة لئلا تسبني فهم
قصدي .. فانا لست اريدك لأنى .. احبك .. أو أى شيء من هذا القبيل .. كلا .
لكننى اريد أن أرسمك

- كلا ، ولا هذا أيضا !

- ولكننى سأدفع لك ثمن الصورة ..

- تدفع لى !

- نعم ، سأدفع ثمن الزمردة التى .. سرقتها .. مضافا الى ذلك سكويتى عن
التبلغ ضدك بشأنها

فأصاب هذا الكلام الهدف .. وسادها السكون برهة غير قصيرة .. ثم قالت :
- وماذا تطلب منى ان أفعل ؟

- إما ان تقفى أو تجلسى أو تضطجعى بينما أقوم انا برسم الصورة
(برهة صمت أخرى)

هى - وبأى ثياب تريد أن ترسمنى ؟

هو - بالثوب الذى اختاره لك .. أو .. بلا ثياب .

فارتعشت جفونها ، وعاود لون الارجوان وجهها ، وأطرقت مستحيية وهى تقول :
- ومقابل هذا .. ؟

قال - سأدفع ثمن تلك الزمردة للجواهرى .. صاحبها .. فانى أعرفه معرفة وثيقة .
تضمن لى سكوته ما دمت سوف ادفع له ثمنها .. وفوق ذلك فأن أحدا ان يعلم من
أمر هذه الحادثة شيئا

قالت - لكننى لا استطيع ذلك لأننى ...

فقاطعها بصوت خفيض كأنما يحدث به نفسه :

- لعنة الله على السجن ، ما أقذره لاسيا لسيدة ظريفة مثلك .. بل أن ...

فدت ذراعها تكفه عن متابعة حديثه قائلة فى استسلام :

- كفى . كفى .. لقد قبلت ما دام لا مناص من القبول

- الحمد لله ! هيا بنا اذن نكتب عقد الاتفاق

ثم تناول ورقة وقلما فكتب العقد محدداً مدة العمل بثلاثة اسابيع ، وبعد أن فرغ من كتابته قدمه لها لتوقع عليه ، فتناوله من يده وقرأته ثم قالت :

— ألا تكفيك كلمتي بأنى قبلت حتى تريد أن ترغمنى على توقيع هذا العقد ؟

أجابها - لست أشك مطلقاً فى قيامك بعهديك واحتفاظك بكلمتك .. ولكن هذه

هى الطريقة العملية للعاملات

فنهدت تنهيدة خفيفة وتناولت القلم بيد ثابتة ظاهر عليها حسن الاعتياد على القبض على ناصيته ووقعت به اسما واضحا جلياً ، ميليسنت باتون . ثم تناول هو منها القلم بدهره ووقع به ، جورج ايفرتن ، ثم قال :

— أهنتك يامس (آنسة) باتون وأشكرك .. والآن أرجوك أن تحضرى

الى الاستوديو ، (صالة التصوير) فى الساعة العاشرة من صباح الغد . وهالك العنوان

فتناولت منه ورقة العنوان وغادرته خارجة وصدرها مختلج بمشاعر متباينة متضاربة وتركته مفكراً متأملاً فى الفرصة السعيدة التى التفت فى طريقه هذه المرأة الباهرة .

وهو حين وقع بصره عليها لأول مرة أخذ بجملها الفنان ليس كما تؤخذ نحن الرجال

العاديون ! وإنما كما يؤخذ الفنان ويهر حين يقع على ضالته .. فهو منذ رآها تخيل فيها

الصورة التى اذا أخرجتها ريشته على حقيقتها لوقف كل من رآها تجاهها محتبس النفس

طرباً وإعجاباً .. وهامى ذى قد وقعت فى فخ كأنما قد نصب لها شيطان الفن !

وكانت تقرتها فى صبيحة اليوم التالى على باب الاستوديو رقيقة مترددة ، ونظرتها

حية حائرة ..

قال لها ايفرتن - تكرمى بخلم ثيابك خلف تلك الستارة يامس باتون والبسى هذا .

وكان هذا ، ثوبا حريريا شفافا تكاد العين تخطئه وتنكر وجوده إذ يبدو ماتحته

واضحاً جلياً بغير ما حجاب ، وهو يشبه فى طرازه الثياب التى كانت تلبسها غايات اليونان

والرومان فى الازمان الغابرة .. فنظرت اليه الفتاة نظرة فزع وانكبتها لم تلبث ان

اختفت - دون أن تنبس ببنت شفه - وراء الستارة ثم عادت بعد هنيهة إلهة من آلهة

الجمال ، جديرة بأن يسجد عند قدميها عشاق الفن الجميل

حتى ايفرتن التى كانت صورتها مطبوعة فى خياله لم يستطع حين رآها على تلك

الصورة الالهية إلا أن حياها بتوهج وجنتيه - إن صح التعبير ! - و يريق في عينيه -
 لاسيا حين وقع بصره على وجهها وعنقها ونهودها
 وبينما هو يفحصها بنظره فحصاً فنياً ليقرر الوضع الذى يرسمها عليه قال لها :
 — لا تخجلنى منى فانى فنان وحسبك هذا ، وفضلا عن ذلك فليست هذه المرة
 الأولى التى تأملتك فاحصاً هكذا ...

فحدجته بعينها الصافيتين بنظرة مستفسرة ، فاستتلى قائلاً .
 — نعم ، لقد رأيتك وأنت فى عشتك فى الصيف الماضى على شاطئ البحر ، وكنت
 تحسبن نفسك وحيدة بينما كنت أنا أختلس النظر اليك - بعين فنان من فضلك ! -
 من ثقب فى العشة

فالتهب جسمها بمد من القرمز لدى سماعها تلك الذكرى .. ولكن الرسام كان
 ينظر اليها الآن . ولقد أنساه فيه نفسه بل جرده منها ! !
 ووقفت الفتاة لاتبدي حراً كما كانت إنما هى واقفة أمام الابدية بينما جعل الرسام يخطط
 بسرعة فائقة بقطعة من الفحم الرسم الكروكى وهو لا يفتأ يلقي عليها النظرة تلو النظرة
 بعينين كأنهما عدستان تنقلان ما يقعان عليه نقلاً دقيقاً على لوحه
 وبعد برهة أدركته عليها الشفقة ، فتعطف قائلاً :

— لقد جعلتك تقفين طويلاً فى هذا الوضع فاستريحى الآن قليلاً !
 فطرحت نفسها فى مقعد وهى تتلوي وتفرك فخذيها وساقها يديها لتلين
 عضلاتها المتألمة

ما أحلاك ياميليسنت وما أبدعك ! نهود بارزة ، وصدر عاجى ، وأعضاء ملفوفة
 متناسقة ، وبشرة ملساء فى لون القشدة ، وفم ناضح مترجرج . وجه افروديت ولكنه ملى
 بحرارة الحياة !

ولقد مدت بصرها وهى جالسة فى مقعدها نحو الصورة السريعة التى رسمها لها فلم
 تستطع هى نفسها إلا أن عجبت كيف يكون لها هذا الجمال الكامل ! وجعلت تسأل
 نفسها عما اذا كانت جميلة حقاً بهذا المقدار ؟ وهل هى ...

ولكن الرسام قطع حبل تفكيرها قائلاً :
 — هلى الى عرشك ثانياً يامس باتون

فنهضت متاثلة وعادت الى موقفها واقترب الرسام منها وراح يقلبها ذات اليمين وذات الشمال ، ياولى رأسها تارة ويعدل كتفها تارة اخرى وهو لا يبدو عليه في كل هذا أى أثر من الحس الجنسى حتى لكأنما التى يقلبها قطعة من خشب أو مطاط وليست انثى يجرى الدم فى عروقها حارا !!

وما من وضع يخطر ببال مصور سواء أكانت واقفة أو جالسة أو مضطجعة إلا استعرضها فيه . . . تارة شائخة بأنف المتصر . . . وأخرى قابعة تنوء بالهرجمة . . . وطورا تصوب من عينيها سهام الاغراء والفتنة . . . وأنا مفكرة متأملة . . . وما لا يبعد ولا يحصى من مختلف المناظر والمظاهر !!

ومضى اسبوعان وبدأ الثالث والتودج مستسلم ! ولكننا تبدو عليها بين آن وآن علامات قلق متزايد ، فيسألها إيفرتن بغير اهتمام :

— هل هناك شىء يزعجك ؟

— كلا . . المسألة بسيطة . . اشكرك

— ولكن هناك « مسألة » ، على كل حال . . فهل يمكنك ان تخبرني ماهى ؟

— إن خطيبي سيحضر فى هذا الاسبوع

— وماذا بهم ؟؟ دعيه يحضر !!

— لكن . .

لم يهتم إيفرتن بمعرفة ما وراء هذه الـ « لكن . . » ، وذهب احتجاجها صرخة فى واد . . ولكنهما حين جلسا لتناول طعام الغذاء فى الاستوديو حيث كان إيفرتن قد أعدده فيه توفيرا للوقت — ذكر الحديث الذى دار بينه وبينها حول خطيبها فسألها قائلا :

— لقد كنت تكلمينى عن خطيبك هذا الصباح ؟

— نعم ، فهو حاضر فى هذا الاسبوع

— وبعد ذلك ؟

— افضل أن لا يرانى على هذه الحال أو يعلم انى . .

— ولماذا ؟

— أولا هو ليس فنانا ليقدر الموقف ، وفضلا عن ذلك فإن آراءه رجعية قديمة . .

- فليذهب الى الجحيم اذا شاء !! لا تكلميني ثانية عن هذا !! ...

- الحق انه رجل طيب ولكنه ..

- لكنه ماذا ؟

- شور ثأره اذا عرف اني ...

- كان ينبغي عليه أن يسجد شكراً لله الذي جعل مثل هذا الجمال (مشيراً اليها)

ملكاً له .

- بالطبع هو يحبني جداً ولكن ...

- بالله دعينا من هذه اللكنات (جمع لكن) وهلي بنا الى العمل

- لقد ظننت انك ستصنع لي صورة كبيرة مثل ...

- ستكون الصورة كبيرة بالطبع ، وسأبدأ في عملها منذ هذه الساعة

وقام فسحبها من يدها وذهب بها الى اريكة أجلسها - أو أضعها على الاصح - عليها

وراح يلويها ويعملها ويدفعها ويجذبها حتى استقر على الوضع الذي راق له فقال لها :

- عليك الآن أن تصدتي على هذا الوضع كما لو كنت قطعة من الأريكة .

ثم تركها وذهب الى مكانه أمام لوحة الرسم ، وراح يشتغل كما لو كان على بعد

مليون ميل منها ! لولا عينيه اللتين كانتا ترسلان النظر الى كل عضو من أعضائها راضل

من أضلاعها حتى يكاد ينفذ الى صميم قلبها

ومضت بضعة أيام وذلك الوضع لما يتغير وايفرتن مشغلة بهمة فائقة ونشاط

عظيم ، أما هي فقد برح بها الألم الى حد انها كانت تعاف أن تنظر الى التقدم المطرد

في صورتها يوماً عن يوم !!

وأخيراً قال لها ذات صباح :

- أظن انني سأنتهي من الصورة قبل نهاية مدة العقد

فاجابته - يسرفي أن أسمع منك ذلك ، فقد كلتي خطيبي بالتليفون قائلاً إنه

سوف يحضر مساء اليوم ، ولست أريده أن يعرف شيئاً عن هذه المسألة

قال ايفرتن - دعينا بالله من هذا السخف والهراء !!

ولكن خطيبي لم يابث أن أحاط بكل شيء خبراً !! فهو قد وصل في قطار سابق

للقطار الذي أعلنها بأنه سيصل فيه .. فلما ذهبت ميليسنت لتقابلها على رصيف المحطة في

الموعد الذى حددته لها ، كان هو يقرع باب الرسام ايفرتن ، إذ كان قد علم من جبرتها بأنها تقضى معظم نهارها كل يوم لدى ذلك الفنان ليرسمها ، وما أن فتح له ايفرتن الباب حتى حياه باحتشام سائلا عن خطيبته فأجابه ايفرتن :

— كلا ياسيدى ان الآنسة باتون ليست هنا الآن

ولكن نظر خطيبها وقع على عدة صور لها فى كل مكان ؛ ولم تكن صورة واحدة من عدة نسخ ، بل كانت عدة صور فى أوضاع مختلفة : هذه تظهرها من الجانب الايمن ، وتلك صورة مواجهة ، وغيرهما وهى مضطجعة تستعرض ليونه خصرها . ورابعة مفترة الثغر عن ابتسامة ساحرة غاوية .. الى غير ذلك من الاوضاع الكثيرة حتى زحمت بصورها جميع انحاء الاستوديو .. فوقف خطيبها ذاهلا مبهوتا .. وفرك عينيه متوهما أنه فى حلم ! ولكن صوت الفنان لم ين أن صادقه على حسه باليقظة . وقال ايفرتن :

— هل هناك شىء من الخطأ ؟

— شىء من الخطأ ! كلا ، بل ان كل شىء هنا خطأ فى خطأ ! اللهم اخرك يا ابليس

اللعين ! ماهذا كله ياسيدى ؟؟

— جمال فاضح !!

— كذلك هو خش فاضح ! بل ان هذا الاسم هو الاصح لهذه المجموعة المتهكة .. ولكن قللى ياسيدى : كيف تبسح لنفسك أن ترسم لهذه السيدة مثل هذه الصور المنكرة ؟ — هذا من شؤونى أنا و... ..

— وهو وأيمن الله من شؤونى أنا أيضاً ! لا بد لى من أن أحل هذه المسألة !

وقد قال جملته هذه الاخيرة وهو مندفع خارجاً من « الاستوديو » كالوحش

المفترس إذ يهاجم غاضباً ..

وبدهى أن الخطيب وخطيبته (مس باتون) تحادثا ملياً فى تلك المسألة بدليل أنها عندما حضرت فى صبيحة اليوم التالى الى « الاستوديو » كانت متجهمة الوجه ، باذية التفكير ، ولم تكذب تحتويها الغرفة حتى قالت :

— لقد قال لى انى اذا وقفت لك مرة ثانية فإنه سوف يفسخ خطوبتنا

قال ايفرتن — إذن أظن أنه يمكننى أن أكمل الصورة بدونك .. فيمكنك أن

تذهبي الآن إذا شئت

فكان جوابها أن جرت مسرعة نحو الستار واختفت وراءها برهة ثم عادت ..
عارية ... وأخذت موقفها المعتاد ..
ولما أتمت يومها قالت :

- ايقعل (خطيها) ماشاء الآن ، فقد انتهت منه ؟
وكانها بهذا التصريح قد صوبت تياراً كهربائياً فجأة نحو الرسام ، فقال متلعثماً :
- حقاً إنك .. أريد أن أقول لك أنى أشعر نحوك .. مدين لك . بالنسبة لكثيرا
والظاهر أنها هى قد ارتج عليها من عموض الموقف ، ولم تدر ما تقول ، فسكتت
وساد الصمت بينهما برهة الى أن قطعه الرسام قائلاً :

- تعالى وانظري نتيجة عملنا .. أؤكد لك أنك ستغبتين لهذه النتيجة ، فانت
على ما أظن لم تبالي أن تنظري يوما الى هذه الصورة ؟ !
فالت وحي ما تزال جالسة على عرشها ونظرت الى الصورة الفنية الرائعة . فها
كادت تستوعبها حتى صاحت صيحة فرح عظيمة قائلة :
- يا الله ! ما أجملها ! ولكن . مستحيل أن أكون أنا صاحبة هذه الصورة الجميلة البديعة .

فقاطعتها بحرارة قائلاً :

- انك أجمل منها بلا شك !

فأجابته - كلا ، بل أنت الرجل العظيم .

وكانت كما خشى ايضاً أن يندفع وراء عواطفه فينسى نفسه فقال :

- لقد نسيت أن أخبرك .. فقد ذهبت بالامس لأدفع ثمن تلك الزمردة فقال لى
الجواهرى انك قد دفعت له ثمنها فعلا قبل أن أخذتها منه . فلماذا اذن (وهنا لان
صوته وبانت فيه نغمة الاسى والاسف) لماذا اذن تركتني أمضى فى اتهامى لك بانك .. ؟

وقطع كلامه عند هذا الحد منتظراً جوابها

فأجابت فيما يقرب من الهمس :- لا تى ..

ولم تزد . فوضع يده برفق على كتفها ونظر اليها نظرة استعطاف لم تعدها فيه من قبل قائلاً
- ألا ما أخبرتني يا .. ميليسنت ؟

فقربت فمها من أذنه وأجابت بصوت خفيض :

- لانى .. لانى أردت أن أكون .. بقربك .

فضمها بين ذراعيه متمنياً . وان الزمرد يرمز به المنجمون الى السيار الزهرة .

وهو لديهم شعار الحب - عيد .. أسعد هذه الزمردة ! !

عظمة المرهر

أو

نزق الشباب

١ - الفطرة البريئة

هناك على الشاطئ الشرقي للنيل في ذلك المكان الهادئ الجميل حيث الاشجار الباسقة والاعصان المزهرة والحدائق الغناء الوارفة الظلال ، هنالك وفي وسط تلك المملكة البديعة ، يبدو قصر أشم منيف قد كساه الزمان بجمال الطبيعة وخلع عليه الربيع حلة السعادة وأكسبه صفاء الأديم منظراً بهيجاً .

في احدي غرف تلك الجنة الواسعة الانحاء المترامية الاطراف على احدي الارائك جلس علاء الدين ، ذلك الشاب الانيق المنظر الجميل الطلعة يترقرق ماء الحياة في وجهه وتبتسم الطبيعة لطلعته وتنشرح الصدور لشروق بحياه .

جلس كذلك يبدو على وجهه شيء من الجزع والحزن الصامت الرهيب تنتابه الهواجس وتزعجه الظنون والاهوام .

جلس أسفا حزينا جلسة الفيلسوف في صمته أو الراهب في صومعته وقد أحزنه فراق والديه اللذين ربياه صغيرا وتعهدها كبيرا حتى شب وترعرع في احضانها تحبوه النعمة ويسعده الشرف وتزهو لديه الحياة . ولكنها الفطرة البريئة أبت الآن تتجلى صافية نقية ممتلئة في روحها الطاهرة التي قد بعدت عن كل معاني الخداع والرياء

٢ - الغواية

وانه لكذلك جلست اليه أخته التي تغيب الشمس حياء لشرقها

وتذوب اغصان البان غيرة من قدها واعتدال عودها ، وتذبل الوردة النضرة
ازاء ورود خديها ، جلست اليه تسليه وتواسيه وتشاركه ما فيه اذ أعلن
الخادم قدوم صديقه الجديد (عزيز) فخرجت أخته واذن لعزیز بالدخول ، وما
أن رآه على هذا الحال حتى بدأه بنوع من التهمك والتأنيب شأن الناصح الاريب
قائلا : الاتزال على ما أنت عليه من طفولة وسذاجة تحزن وتجزع ولا أري لكل
ذلك من سبب إلا انك لاتزال في عقلك القديم ! ؟ علام تأسف وتلم وترثي
وتجزع ؟ اليس هذه هي سنة الطبيعة جرت في مقاليدها وقدأبت إلا أن تريحك
عن فأنوا يضيقون عليك سبيل الحياة الناعمة في ظل الاخوان والاصدقاء
ويحرمونك لذة الانس معهم والصفاء ؟ جدير بمثلك أن يرفل في حلل السعادة
التي حرمها طويلا وان يشتهر فرصة الشباب قبل أن ينصرم حبله ، فيتخذ من
اصدقائه وخلانه أنيسا ومن أحبابه رفيقا وجليسا . ويل لمن أنعم الله عليهم بمثلك
بذاك المال وهذا الجمال والشباب ثم هو لا يشكر الله عليها باستثمارها والتمتع
بلذائذ الحياة وسعادتها !!

وهنا دخل الخادم فأعلن سيده بوجود ابنة عمه في انتظاره ، فاستأذن عزيز
على أن يحضر في الغد ، وانصرف وفي نفسه علام ما لايجبه ، ولكن علاء
رأى الايضيع فرصة مالمكة ليه وسالبة فواده تلك الجوهرة الثمينة الغالية
التي كان يري فيها كل السعادة والصفاء

٣ - العرام الصادق

وما هو ان ودع صديقه حتى طار الى الغرفة التي بها حبيبته (ابنة عمه
مع اخته وما أن وقع بصره عليها حتى بهت وقال (رباه !! ما هذا الشحوب يا أنصاف ؟
أكنت مريضة أم ماذا جرى ؟) فتنهدت من أعماق نفسها ورنّت اليه بطرف
ساحر وقالت (كلا يا علاء فليس شيء من هذا أو ذاك فما أمرضني إلا أنت وما
أسقمني إلا جفاك ، فانت علتى وسبب دائي وفي يديك دوائى وشفائى ، لقد

عذبتى يا علاء، وتركتنى أقاسى ألم النفس ولوعة البعد، اليس لى فى قلبك من شىء
أوفى عطفك من نصيب؟ لولا أختك العزيزة معك فى هذا القصر مازرتة ولا
دخلته. فى سلوتى عنك. لقد جئت أزورها ولا أستشف من روحها ما يخفف على
آلامى ويسعدنى فى خلوتى. فقطعت سعاد حديثها قائلة: لا تغضبى يا أنصاف فإن
المسألة كآقلت لك. فاسترسلت أنصاف فى حديثها قائلة (هل نسيت يا علاء العهد
الذى قطناه امام والديك رحمة الله عليهما، انك قاس يا علاء الدين. انه لا تمر
على لحظة من ليل أو نهار إلا وأنا أفكر فىك وفى السعادة التى انتظرها معك
وفاء بذلك العهد الذى كاد يتم لولا القدر المحتوم الذى انقض علينا ففجعنا
فى عمى. لقد كان يحبنا كثيراً ويحنو علينا ويمطف اذا ما رآنا مجتمعين فى
الحديقة أو على المائدة. اليس كذلك يا سعاد؟)

فاحت سعاد رأسها علامة الإيجاب واسترسلت أنصاف قائلة: (أجب
يا علاء أجب. فلقد ضاق صدرى وكادت أنفاسى تنقطع حتى أراى لا أقوى على
النطق، عللى بامل أسعد به فى الحياة)

فترقق الدمع فى عيني علاء وتلعثم لسانه فلم يستطع النطق حتى زفر
زفرات حارة عبرت عن قرارة نفسه أجاب بعدها قائلاً: لقد قتلتينى
يا أنصاف بقارص عتابك وقاسى لومك، ومن أدراك أنى سلوتك أو
نقضت العهد الذى لا تتم سعادتى إلا بالوفاء به؟ كيف تعتقدين ذلك وأنت
أمنيتى وسر وجودى بعد والدى وحياتى التى لا حياة لى بعدها؟ من لى بعدها
يا أنصاف ينسينى آلامى ويرثى لحالى ويسعد لسعادتى ويشقى لشقاى؟ كيف
ذلك وقد كان ذلك العهد آخر كلمة نطق بها كل من والدينا وأهم وصية
لها؟ أنى أؤكد لك أنه مامعنى من الاسراع فى التنفيذ إلا ما تعلبين من أمر
وفاة والدى وما جره ذلك على من الوقوع فى مشا كل الحساب مع الزارع
والمستأجرين، وعمما قريب أنتهى منها ويتم حظى ونسعد ان شاء الله). فافتتر

نفرها عن ابتسامة عذبة رقيقة طاهرة وذهب عن وجهها ذلك الشحوب الذي كاد يقتلها وقالت: (شكراً لله الذي من على بتلك السعادة إذ قرأت في قلبك شرف العاطفة وصدق المقال). فقال (ستحقق الأيام آمالنا قريباً يا أنصاف) وما كاد يتم جملة حتى أعلنه الخادم بقدم صديق روحه ورفيقها الأول محمود.

٤ - الاخاء الصافي

فأذن له بالدخول وذهب إليه علاء فتقابلا بشغف واشتياق شأن الأخوة الأول، وقد كان محمود رفيقه الأول وابن جاره وقد كان أعز عليه من نفسه. ولقد كان محمود هذا على جانب عظيم من شرف النفس ومثانة الاخلاق وصدق الوفاء مما جعل المرحوم والد علاء يوصي ابنه باستمساكه بعروة هذه الاخوة والصداقة المتينة، فتحدثا ما شاء لهما الحديث، وكثيرا ما كان محمود يتقدم إلى علاء بالنصح والارشاد شأنه في كل مقابلة مما زاد رغبة علاء فيه وكان يريد ان يفاتحه في حديث الصديق الجديد عزيز وباليته. ولكنه رأى أن في استطاعته رده وارجاعه بنفسه في مقابلة الغد. وبعد ساعة قضياها في الحديث وأهم الشؤون، استأذن محمود على أن يوالى الزيارة حسب رجا علاء. انصرف مودعاً بمثل ما قبل به من الحفوة والتجلة ثم عاد علاء إلى حيث أخته وخطيبته فوجدها على أهبة الخروج فرجاها في البقاء فنزلت على ارادته ومكثوا طول اليوم في عذب الحديث وترتيب الامور حتى أذنت الشمس بالمغيب فاستأذنت انصاف أذ لا يمكنها الانتظار لأن والدتها في انتظارها. فاضطر علاء أن يودعها وقد أخذت معها قلبه وبات ليلته يتأجج نفسه بقرب اللقاء والسعادة، كما كان حالها أيضاً، حتى أصبح الصباح وبدأ يدير بعض الشؤون التي كانت لا تزال تشغله.

٥ - الصراع بين الفضيلة والرزيلة

علم علاء بقدوم (عزيز) فقام لمقابلته فسلم عليه وفتح له عزيز قاتلا :
(لعلك تكون مسرورا بلقائك ابنة عمك ، وانما أخشى أن تكون من أولئك
الذين يفتنون بشيء اسمه الحب أو يقعون في حبال الهوى الذى يسمونه
الزواج ؛ وما أظن المسألة إلا هذا ؛ أليس كذلك ؟) فأجاب علاء (نعم انها
خطيبتى وحبيبتى التى سأسعد بها قريبا) فضحك عزيز وهز رأسه استخفافا
وقال (لقد وقتت يا علاء .. خطيبتك !! هاهاها .. انك لا تزال
ترسف فى قيود الرجعية العنيفة التى يعادىها العالم المتمدن . نعم انك لا تزال
متمسكا بمبادئ القرون الاولى !!!)

(أنت من أنصار الزواج ؟ أنت من الذين يقيدون أنفسهم بقيد الزواج الذى
هو أشبه شيء بقيد من الحرير ، إلا أنه أقطع من قيد الحديد ؟ من ذا الذى
يترك القلب فى أحضان الغايات الفاتنات يرتع بينهن و ينعم بجمعهن ليكون
أسير واحدة يسأماها وتسأماها ولن يجد عنها محيصا ؟ ناهيك بما يتبع ذلك من
الاولاد والنسل مما يقيد حرية الانسان و يحرمه لذة السعادة فى المجتمع الانسانى
ولكن على كل حال ..) فقاطعه علاء قائلا : (انك يا عزيزى اثختنى تأنيبا
وتعنيفا على تمسكى بمبادئ الفضيلة والسعادة الحقيقية التى ينبى عليها اتساع
العمران و رقى المجتمع وتدعوى الى هذه الهمجية البهيمية التى يقول بها اولئك
المتعجرفون ممن يدعون أنهم أنصار المدنية فينفرون من الزواج وياتون
كل موبقة نتیجتها الفناء المحتم . أنا لا أعتقد إلا أن هذا كله انما هو جبن عن
تحمل أعباء الحياة وتخلص من ميدان الرجلة) فتجهم وجه عزيز وقال فى حدة
(فضيلة ! سعادة ! عمران ! ومن الذى قال ذلك إلا أرباب العنفة الاولى ؛ أنها كلها
الفاظ جوفاء لو قشتم بالمجدل هاد لولا . ولقد صدق بها الانسان الاول لقصر عقله
وقلة تجاربه ؛ وانى بمالى من تجارب الحياة قبلك انصح لك بنبدل هذه

التقاليد العمياء التي تحمل الانسان في دنياه ما لا قبل له به ولا قدرة له على حمله
 قتب الى رشدك واقتنع ولا تكثر على من الفاظ الرجعية التي ملتها الاسماع
 ولجها الذوق السليم. والآن أودعك لزيارة صديق آخر واستعد لنزهة نقضها
 يوم الجمعة ان شاء الله مع بعض الاصدقاء. فقبل علاء ذلك وودعه ، وبينما هو
 راجع اذ بصر بخطيبته في دهليز القصر مع أخته فذهب اليهما وتحدثوا في بعض
 الشئون ثم ودعته وانصرفت. ووجه علاء همه الى انجاز أعماله حتى يكون
 على تمام الاستعداد في الميعاد الذي ضربه عزيز

٦ - الوقوع في الشر

وكانت نزوة الشباب قد لعبت برأس علاء اذ نراه يتلهف للقاء عزيز
 عساه يحظى بتلك النزهة التي قد تصورهما كاحسن أمنية يتمناها الانسان ، وما
 هي الا دقائق حتى علم بقدوم عزيز في جلبة وضواء مع بعض رفاقه فاذن
 بالدخول وأمر علاء الخادم باعداد المركبة ومالبث هذا أن أعلن انتظارها على تمام
 الاستعداد فركبوا وسارت تنهب بهم الارض نهبا وهم في ضحك ودعابة
 حتى أشار عزيز على السائق أن يقف أمام قصر فخيم وسط حديقة
 يانعة الازهار ، وما عتموا أن نزلوا ، وما هي أن توسطوا الحديقة حتى
 قابلهم خادم حيث قادهم الى حجرة كان في انتظارهم على بابها عدد من
 الشبان فدخلوا الحجرة التي قد توسطتها مائدة صنفت من جميع الصنوف
 والاشكال من طعام وشراب فأذن لهم بالجلوس فالتفوا حول المائدة وبعد أن تم
 التعارف ابتدأوا في الطعام والشراب وانزعجت الكؤوس ودارت الاقداح ووزع
 الحباب بين الاحباب ، وما زالوا كذلك حتي لفت الخمر برؤوسهم فقاموا ثملين
 يميلون ذات اليمين وذات اليسار ويترنحون بالاصوات المزعجة التي تنفر منها
 النفس وتصم الاذان مما هيأته لهم الراح ، وقد ذهبوا الى حيث يقضون يومهم
 وليلتهم بين الغانيات وفي أحضان المومسات حتى أطلت عليهم كاشفة الفضائح

من بين الستائر والمناقد فراحوا الى منازلهم في غاية الضعف والاعياء وفي
 جملتهم علاء الدين الساذج الذي خدعته الغواية وأضلّه اخوان السوء فانغمروا
 في لجنهم وأفاض من حيث أفاضوا وانغمس في الشهوات والملاذ فكان من
 الضالين ولقد تبعه هؤلاء الاخوان حتى تمكن الشر من نفسه فصار لا يهدأ له
 بال ولا يقر له قرار الا اذا كان بينهم أو في مجلس الشراب والشباب هكذا ،
 سيما وقد كان فتنة القلوب بمنظره ، اذا صار ملك القلوب والافئدة وزاغت
 فيه الاعين والبصائر فلذت له هذه الحال وطاب لديه هذا النوع من العيش
 والتف حوله عدد من النسوة اللاتي قنن بماله وجماله فكان يغدق النعم ويكثر
 العطايا ويذر المال بذرا ودأب على هذا الحال مدة غير مبال بما يحجره عليه كل
 ذلك من اتلاف في الصحة وضياح لما خلفه له والده مما كان لا يأتي عليه عد ولا
 تفنيه السنون ولما لم يجد لديه من المال من ابراده طلبه ، اقترض وما أسهل القرض
 على مثل هذا وسار أرباب الشهوة في جمع المال من غير الطريق الشرعي في
 أثره يمدونه بكل ما يطلب حتى أصبحت تلك الثروة الطائلة مهددة بالفاء .
 وظلت المسكينة ابنة عمه وخطيبته تزور المنزل كل يوم تقابله فتبث
 اليه بعض النصيحة عله يرتدع فما كانت تجده الا في حالة سكر عميق أو بين
 هؤلاء الاشرار ، بل لقد كانت رؤيتها له تزدها ألما على ألم وداء على داء فكانت
 تركز الى ابنة عمها يتشاكيان ويتباكيان حتى أدلهم الخطب وفدح ولا من
 نصير ولقد كان محمود الطيب القلب يكثر من زيارة المنزل عله يقابله على
 افراد ساعة أو يستطيع أن يحول بينه وبين هذا التيار فما كان يوفق ولا
 يستطيع ذلك

٧- الخطر المحدق

الى أن كان اليوم التاسع من الشهر الثالث عشر من تاريخ تلك النزهة
 المشؤمة اذا برجل من رجال القضاء يحمل ورقة قدمها للبواب وأخبره أنها

انذار لسيدته ان لم يدفع المبلغ في ظرف اسبوع تكون جميع املاكه معرضة للبيع للوفاء به . فحملها الخادم الى سيدته أخت علاء وما أتت على ما فيها حتى صعدت المسكينة وسقطت واهية القوى في حالة اغماء شديد وما كاد الخادم يتوسط الدهليز حتى رأى المسكينة إنصاف فأخبرها بالخبر فسارت الى أخته عليها تقف على الحقيقة وما كادت تطأ قدمها الغرفة حتى فزعت وأسرعت الى عمل الاسعاف الممكن حتى أفادت المسكينة سعاد وجلسا الى بعضهما وما هي الا هنيهة حتى أخرج الخادم بقدم العسدي محمود فيما نجيته ؟

وبينما محمود في انتظار الخادم اذ أبصر عربة علاء على بعد تكاد تشق أجواز الفضاء فانتظر وبعد لحظة وقفت العربة ونزل منها المأفونون يحملون علاء على أيديهم كالجثة الهامدة وطاروا به الى حيث غرفته حيث وضعوه على سريره ولاذوا بالفرار . كل هذا ومحمود مبهوت لهذا الحادث وقد علم بحادث الانذار فاشتدت آلامه . ولكن لابد من الاسراع الى الانقاذ فأخبر الطبيب عن المسألة .

٨ - النجاة

وقصد محمود الى علاء في غرفته وكانت بها الأخت والخطيبة فترجع قليلا وما هي الا لحظة حتى حضر الطبيب وبدأ بفحص المريض والكل من ورائه في حالة سكون ووجوم ينتظرون الرأي الأخير ، الى أن رفع الطبيب رأسه قائلاً لا تخافوا فالعاقبة سليمة ان شاء الله . انه معفى عليه على أثر إفراطه في الشراب ويظهر انها انقلبت حمى وسأنتظر نوباد الى الفحص وعمل الاسعاف وهو يقول : لا خوف اطمئنوا . حتى عاد المريض الى الحركة وانتفس الى حدهما ولكنه لا يزال في غيبوبته وهكذا لبث المسكين يعاني الم الحمى وأمراضاً أخرى

خطيرة شنيعة . كادت تفتك به لولا العناية الالهية التي انقذته لا خته وخطيبته
ولولا مساعدة ذلك الصديق الحميم الذي لم يكفه أن يلاحظ حالته الصحية بل
أنه بهمة وحزم عالج المسألة المالية بعناية وحرص . وظل يتابع المسألة
بدقه ومهارته وظل المسكين علاء أياما لا يعي فيها شيئا الى اليوم السادس
حيث اتبه ووعى ما يجانبه ومن يقوم بمراسمته وما يجري حوله فكان كلما نظر
بيكي وينتحب وهما يهونان عليه ويهدئان من روعه وكلما رأى محمود يتمنى ان
لوعادت اليه صحته فيخر راکما لصديقه الذي خدمه لا المأرب أو لغاية
الى أن كان اليوم الخامس والأربعون واذا به قد ثمائل للشفاء ونهض
واقفا مستغفرا منيا الى ربه تائباً عن جميع ذنوبه طالبا منهم الصّفح عنه وهم
يحمدون الله على ثمائه للشفاء ويهتفون بذلك واذا بالخادم يعان قدوم الصديق
محمود وما كاد علاء يراه حتى جرى نحوه مستغفرا قائلاً أنتذت حياتي فبماذا
أكافئك ..

الخاتمة

فقاطعه محمود (لاشئ يا أخي فما فعلت غير الواجب وما جئت إلا لاهنتك
على أن آخر قسط من ديونك قد دفع اليوم ولم تخسر سوى جزء يسير جدا
من ضيعة كذا ، فدهش علاء دهشة الفرح وقال (الآن وقد عصيت وكنت
من الخاسرين فلا تضرن عن سيئاتي ولا استغفرن ربي ولتفرضوا على ماشئتم
فلكل منكم حياتي فاقسموها فأنا من الطائمين .

وأجابه محمود (لاشئ يا علاء مطلقا ولا تحمل نفسك أكثر مما يجب
وليس علينا جميعا إلا أن نحمد الله على أن زالت تلك الغمة التي نكدت
عيشنا جميعاً غير أنني أرى أن الانصاف أن تفي الى أنصاف) فاحمر وجهه
خجلا وسكت . فرددت انصاف قائلة (وانني أرى ان الاجدر بمحمود ان

ينال سعاد وما أراى خاطئة فى هذا ولا أظن علاء أو سعادا ثمانع فذلك هو
هو المرام. فاغضت سعاد حياء ولكن علاء صاح قائلا الرأى ماقلت يا انصاف
محمود أهل لها ولا مراء ثم ساد السكوت مدة وعلامة الرضى والارتياح من
لجميع وشمل السرور القصر من جميع نواحيه وأعلنت الخطبة لكل من الزوجين
وبعد أيام ثم الزفاف فى حفلات الانس والسرور بين جميع الأهل والاحباب
ولم يغب منهم أحداً فكانوا سعداء الى الابد .

م — س

—BIBLIOGRAPHY—

لذة العمل

إن البهجة والغبطة اللذين نشعر بهما بالعمل الذى تؤديه ليسا شيئا مفرحا فقط،
وانما هما وسيلة وعون لنا لتسير فى عملنا نحو السكال
والحق الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنه ليس من انسان
يستطيع أن يؤدى عملا متقنا اذا لم يشعر باللذة فى ادائه
ان التذاذ الانسان بعمله هو بمثابة آلة الصقل . صحيح إن العمل قد يتم بدونها
ولكنه يكون عملا ابتر ، مظلم ، خاليا من كل رواء وبهجة

